

## خصومة في العراق لن تصل إلى الحرب

فاروق يوسف  
كاتب عراقي

بكل الطرق ستحاشي إيران استفزاز سيد البيت الأبيض الغاضب بسبب خسارته في انتخابات، خذلته فيها ولايات كان يظن أنها ستصوت له، غير أنها فاجأته بل صدمته بما يمكن أن يعتبره خيانة. ستزججه قليلاً لكن بعيداً عن أراضيها وأبوابها يمكن أن تستغني عنها إذا ما قررت الولايات المتحدة أن ترد على إزعاجها بالطريقة التي تجدها مناسبة، من غير أن يشمل ذلك الرد أي مصالح الإيرانية.

تلك هي قواعد اللعبة التي لم يجرح الطرفان بعضهما بعضاً في الخروج عنها.

حتى اللحظة تبدو الولايات المتحدة محايدة في ما يتعلق بالحشد الشعبي وهو أكبر المؤسسات العسكرية التابعة لإيران في العراق. قد يبعث ذلك الحياض برسائل خاطئة لا إلى إيران وحدها بل وأيضا لاتباعها.

هناك شعور بالاطمئنان من أن الولايات المتحدة لن تشن حرباً شاملة بسبب خطأ ترتكبه ميليشيا يمكن التخلي عنها فكيف إذا وجدت تلك الميليشيا نفسها مخيرة بين أن تمحي وتزال من الخارطة نهائياً أو تتخلى عن أفراد يمكنها أن تعتبرهم فائضاً؟

لن تكون ميليشيا "عصائب أهل الحق" عزيزة إلى درجة أن إيران يمكن أن ترفع صوتها دفاعاً عنها. وهنا المقصود هو الحشد الشعبي الممثل الرسمي لإيران في العراق. صحيح أن قيس الخزعلي زعيم تلك العصائب قريب من إيران بقدر بعده عن الوطنية العراقية غير أن الدفاع عنه لا يمكن التعامل معه باعتباره سبباً للدخول في معركة ثانوية سيخسرها الحشد بالتأكيد. هناك ما يمكن الاستعداد له غير الدخول في مناقشات ثانوية كان تتم مناصرة العصائب نكابة رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي الذي لا يحبه أحد بالرغم من أنه ابن العملية السياسية منذ اليوم الأول للاحتلال الأميركي.

ذلك قرار إيراني. سيهب الكاظمي نصراً صغيراً بعزيمته موقعه الذي تعرض للتآكل بعد القرارات الاقتصادية الأخيرة التي ستلقى بالكثير من ذوي الدخل المحدود على حافات الفقر. ولأن المنحة الإيرانية ستقابل بكرم أميركي فإن كل شيء سيمضي إلى نهايته. لا شيء يستحق التوتر والانفعال الزائد.

فكرة إيران وهي تخطط لمرحلة ما بعد ترامت تقوم على أساس أنها قد عززت وجودها في المنطقة. لن يكون من اليسير التخلص من أثرها في العراق ولبنان واليمن. أما في سوريا فإن الأمور قد تكون مختلفة بسبب الوجود الروسي الذي لا يمكن التماس معه بشكل مباشر.

إيران ستبقى موجودة في المنطقة من غير أن تجبر الناس على الحديث بالفارسي. لقد سمحت لها سنوات

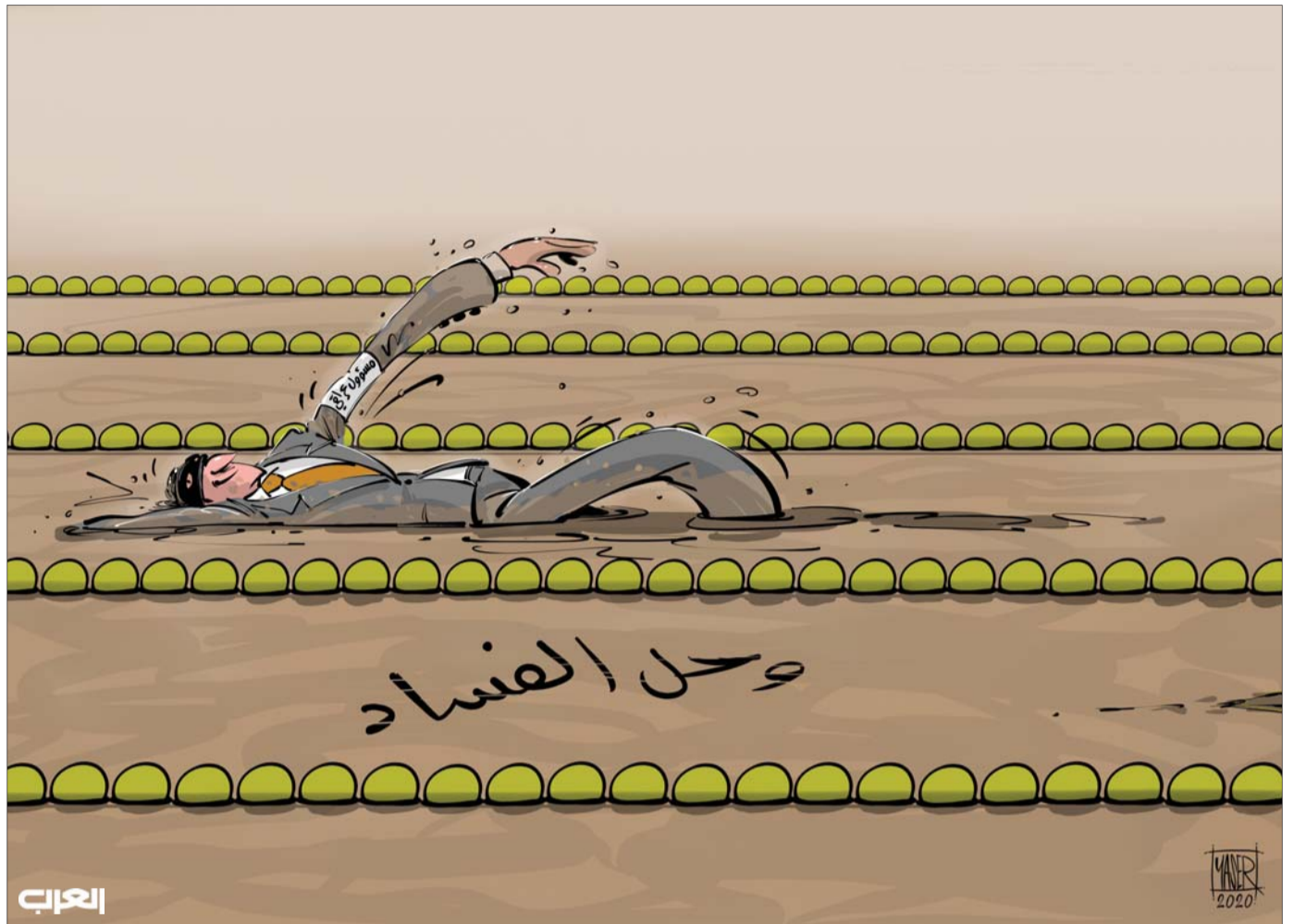
الاتفاق النووي أن تؤسس قاعدة لوجودها بطريقة عقائدية. تلك طريقة يمكن لإيران من خلالها أن تكون موجودة على مستوى الحقيقة من غير أن تكون موجودة في الواقع. فإذا رغبت أي جهة في أن تحارب إيران فإن عليها أن تضع في ذهنها أنها موجودة خارج الجغرافيا. إيران العقيدة هي التي تحارب. في مناخ من ذلك النوع يحتاج مصطفى الكاظمي إلى موهبة خاصة في التعامل مع الميليشيات. الداخل منها في الحشد والخارج من الحشد بإذن مؤقت كما لو أنه ذاهب لقضاء مهمة ويرجع. اللعبة أكبر منه وأكثر سعة من حجم وظيفته. فهو وإن كان محسوباً على الولايات المتحدة في المعادلة العراقية الضيقة فإن الحسابات الإيرانية تبقى أكبر منه وقد تقتلعه من منصبه إذا ما انحازت إلى صنيعتها فتدنى الصدر الذي يمكن أن يحرك الفقراء من أجل إسقاط حكومته. لا أحد يمكنه التكهّن بما قرره عراق العملية السياسية نوري المالكي بعد الاجتماع الذي عُقد في بيته. من المؤكد أن حرباً لن تكون وشيكة. فالعصائب تخلت عن فرد من أفرادها بدلاً من أن تتخلى عنها إيران.

الولايات المتحدة لن تشن حرباً شاملة بسبب خطأ ترتكبه ميليشيا يمكن التخلي عنها فكيف إذا وجدت تلك الميليشيا نفسها مخيرة بين أن تمحي نهائياً أو تتخلى عن أفراد يمكنها أن تعتبرهم فائضاً؟

"تؤرق إيران ذكرى مقتل سليماني" تلك كذبة تصرها وسائل الإعلام العالمية. ذلك لأن إيران تفكر بشكل العلاقة الجديدة مع الولايات المتحدة في عهد الرئيس بايدن. ليس من المعقول أن تبدأ تلك العلاقة بحرب حتى لو كانت تلك الحرب محدودة.

ستعالج إيران الموقف المتوتر في العراق بطريقة هادئة. لن يهيمها انتصار مؤقت للكاظمي تكسب من خلاله وقتاً يتيح لها تنظيم أوراقها في انتظار الرئيس الجديد الذي لن يكون من وجهة نظرها متحمساً لحرب ضدها. تلك فكرة للتهدئة سيكون على الطرفين أن يعيدا فهم ما يجري من جديد.

لقد قدر للعراق أن يكون منصة ملعباً لحرب مقبلة ليست صحيحة. ليس من السهل التعامل مع إيران. ذلك ما صار الأميركيون على دراية به. ربما سيتشكرون إيران لإسعاد حليفهم الكاظمي غير أنهم لن يغفروا لها ما ارتكبت ميليشياتها من إزعاج. وهو ما سيتعاملون معه في حدود الخصومة.



## الدرس البريطاني

ويتحقق له ذلك في الرابع والعشرين من ديسمبر باقل التكاليف.

كان اتفاق الألفي صفحة بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي مناسبة للمؤسسة البريطانية الحاكمة لاستحضار القيم البريطانية كأنه يوم تحرير واستقلال يكشف عن عمق الشعور بالمهانة التي كانت تعيشها بريطانيا في التبعية لأوروبا قرابة نصف قرن. قال مكتب "داون ستريت"، "حققنا استقلالاً سياسياً واقتصادياً، لا محكمة عدل دولية ولا سيطرة على أموالنا وحدودنا وقوانيننا وتجارتنا ومياه صيدنا".

معاني القيم الديمقراطية البريطانية والاعتزاز بالوطن كانت وراء خلفية الإصرار على الخروج من الاتحاد الأوروبي وليس الجانب الاقتصادي الصرف الذي تضررت فيه كل من بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي. هناك تفصيلات كثيرة يمكن للاقتصاديين المختصين الحديث حول تداعياتها.

قيادة الدولة البريطانية (البرلمان والحكومة) احترمت قرار الشعب البريطاني في استفتاء عام 2016 وحرصت على تنفيذه باقل الخسائر، وهنا يكمن الدرس الذي ينبغي على شعوب منطقتنا وحكوماتها الإصغاء إلى دلالاته في حياة الدول الديمقراطية الحقيقية، وليست حكومات أحزاب النهب مثلما يحصل في العراق منذ عام 2003. ولا توجد أي أوجه للمقارنة بين الحالتين العراقية والبريطانية التي تتميز بعراقة الديمقراطية وتاريخ الزعامة الفذة رغم النهج الاستعماري في احتلال أكثر من 25 في المئة من بلدان العالم.

الدرس المهم في الحدث البريطاني وفي جميع بلدان العالم الديمقراطي أن السياسي المنتخب هو موظف لدى الشعب يتقاضى راتباً ويحتل موقعا معنوياً خلال فترة خدمته، وحين تختل الموازنة ويشعر المسؤول الأول أو الثالث بأنه غير قادر على أداء مسؤوليته يستقيل فوراً، وهذا ما حصل في مثال رئيسي الوزراء البريطانيين كاميرون وتيريزا ماي خلال أزمة بريكست.

الدرس الآخر هو الشعور العميق بالولاء للوطن وعدم التفريط في أي فرعية من فرعيات السيادة، لأن قيمتها تظل واحدة حتى في نفوس السياسيين حتى وإن كانوا لاولي الألباب.

خيمة الاتحاد الفتى في ما بين عامي 1967-1961 واتهمها بالعداء للمشروع الأوروبي، ثم دخلت في ما بعد عام 1973.

لم تندمج لندن بعملة اليورو رغم تغيير لون جواز السفر البريطاني من الأزرق إلى الأحمر، وفي السنوات الأخيرة ساد شعور سياسي داخلي بأن أوروبا تريد ابتلاع بريطانيا ونهب أموالها وثروتاتها، فتم عرض الخروج من الاتحاد على الشعب البريطاني الذي وافق بنسبة 51 في المئة عام 2016. هذا القرار الذي أطاح برئيسي وزراء هما ديفيد كاميرون، الذي استقال بعد 24 ساعة من إعلانه الاستفتاء، ومن بعده تيريزا ماي. لكن بوريس جونسون جاء من بعدهما مستخدماً قوته الانتخابية للخروج الاقتصادي الآمن من الاتحاد الأوروبي.

معاني القيم الديمقراطية البريطانية والاعتزاز بالوطن كانت وراء خلفية الإصرار على الخروج من الاتحاد الأوروبي وليس الجانب الاقتصادي الصرف الذي تضررت فيه كل من بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي.

هناك تفصيلات كثيرة يمكن للاقتصاديين المختصين الحديث حول تداعياتها. قيادة الدولة البريطانية (البرلمان والحكومة) احترمت قرار الشعب البريطاني في استفتاء عام 2016 وحرصت على تنفيذه باقل الخسائر، وهنا يكمن الدرس الذي ينبغي على شعوب منطقتنا وحكوماتها الإصغاء إلى دلالاته في حياة الدول الديمقراطية الحقيقية، وليست حكومات أحزاب النهب مثلما يحصل في العراق منذ عام 2003. ولا توجد أي أوجه للمقارنة بين الحالتين العراقية والبريطانية التي تتميز بعراقة الديمقراطية وتاريخ الزعامة الفذة رغم النهج الاستعماري في احتلال أكثر من 25 في المئة من بلدان العالم.

الدرس المهم في الحدث البريطاني وفي جميع بلدان العالم الديمقراطي أن السياسي المنتخب هو موظف لدى الشعب يتقاضى راتباً ويحتل موقعا معنوياً خلال فترة خدمته، وحين تختل الموازنة ويشعر المسؤول الأول أو الثالث بأنه غير قادر على أداء مسؤوليته يستقيل فوراً، وهذا ما حصل في مثال رئيسي الوزراء البريطانيين كاميرون وتيريزا ماي خلال أزمة بريكست.

الدرس الآخر هو الشعور العميق بالولاء للوطن وعدم التفريط في أي فرعية من فرعيات السيادة، لأن قيمتها تظل واحدة حتى في نفوس السياسيين حتى وإن كانوا لاولي الألباب.

خيمة الاتحاد الفتى في ما بين عامي 1967-1961 واتهمها بالعداء للمشروع الأوروبي، ثم دخلت في ما بعد عام 1973.

لم تندمج لندن بعملة اليورو رغم تغيير لون جواز السفر البريطاني من الأزرق إلى الأحمر، وفي السنوات الأخيرة ساد شعور سياسي داخلي بأن أوروبا تريد ابتلاع بريطانيا ونهب أموالها وثروتاتها، فتم عرض الخروج من الاتحاد على الشعب البريطاني الذي وافق بنسبة 51 في المئة عام 2016. هذا القرار الذي أطاح برئيسي وزراء هما ديفيد كاميرون، الذي استقال بعد 24 ساعة من إعلانه الاستفتاء، ومن بعده تيريزا ماي. لكن بوريس جونسون جاء من بعدهما مستخدماً قوته الانتخابية للخروج الاقتصادي الآمن من الاتحاد الأوروبي.

معاني القيم الديمقراطية البريطانية والاعتزاز بالوطن كانت وراء خلفية الإصرار على الخروج من الاتحاد الأوروبي وليس الجانب الاقتصادي الصرف الذي تضررت فيه كل من بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي.

هناك تفصيلات كثيرة يمكن للاقتصاديين المختصين الحديث حول تداعياتها. قيادة الدولة البريطانية (البرلمان والحكومة) احترمت قرار الشعب البريطاني في استفتاء عام 2016 وحرصت على تنفيذه باقل الخسائر، وهنا يكمن الدرس الذي ينبغي على شعوب منطقتنا وحكوماتها الإصغاء إلى دلالاته في حياة الدول الديمقراطية الحقيقية، وليست حكومات أحزاب النهب مثلما يحصل في العراق منذ عام 2003. ولا توجد أي أوجه للمقارنة بين الحالتين العراقية والبريطانية التي تتميز بعراقة الديمقراطية وتاريخ الزعامة الفذة رغم النهج الاستعماري في احتلال أكثر من 25 في المئة من بلدان العالم.

الدرس المهم في الحدث البريطاني وفي جميع بلدان العالم الديمقراطي أن السياسي المنتخب هو موظف لدى الشعب يتقاضى راتباً ويحتل موقعا معنوياً خلال فترة خدمته، وحين تختل الموازنة ويشعر المسؤول الأول أو الثالث بأنه غير قادر على أداء مسؤوليته يستقيل فوراً، وهذا ما حصل في مثال رئيسي الوزراء البريطانيين كاميرون وتيريزا ماي خلال أزمة بريكست.

الدرس الآخر هو الشعور العميق بالولاء للوطن وعدم التفريط في أي فرعية من فرعيات السيادة، لأن قيمتها تظل واحدة حتى في نفوس السياسيين حتى وإن كانوا لاولي الألباب.

د. ماجد السامرائي  
كاتب عراقي

نقل التاريخ الإمبراطوري البريطاني عبر أربعة قرون، في ما بين السابع عشر والعشرين، أنه كرس في العقل السياسي البريطاني فكرة الاعتزاز القومي ومكانة القوة رغم اعتراف بريطانيا بنهاية إمبراطوريتها الكبيرة، التي هيمنت على مناطق شاسعة من العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، أهمها أميركا الجديدة وبلدان كثيرة من منطقتنا العربية، من بينها أهم بلد بالنسبة إليها وهو العراق، اقتصرت اليوم على رمزية ما يسمى بدول الكومنولث عبر البحار.

ظل الإحساس بالتفوق مهيماً على السياسيين البريطانيين، خصوصاً حزب المحافظين العريق، رغم التحولات الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية وسيطرة القطبين الأميركي والسوفييتي ثم انفراط القطب الأميركي في القرن العشرين، وصعود نظرية العولمة وانعكاسها على أوروبا الجديدة بعد تلك الحرب. صحيح هناك استسلام بريطاني للواقع الكوني الجديد، إلا أن حكام بريطانيا ظلوا يعبرون عن خصوصية اعتزازهم الوطني وعدم قبول انصهار بلادهم في التحولات الجديدة، والأهم اعتزازهم بديمقراطيتهم العريقة.

الدولة الوطنية البريطانية ظلت متماسكة ومؤثرة باقتصادها القوي الفعال، كإحدى الدول الصناعية السبع الكبرى باعتقاد راسخ داخل منظومات الأحزاب البريطانية بأن انحسار النفوذ البريطاني الخارجي لا

يعني تفكك الوحدة القومية والخضوع لمجموعات دولية مثل

الاتحاد الأوروبي، فالإنجليز يعتز بتراثه ولغته السكسونية التي أصبح العالم كله يتحدث بها، حتى اتحاد إنجلترا مع كل من أسكتلندا وأيرلندا وويلز يبدو هشاً، لهذا كانت بريطانيا مترددة في الدخول إلى نادي الاتحاد الأوروبي الذي قاده كل من ألمانيا وفرنسا، بل إن الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول سبق أن منعها من دخول

